

بحار الأنوار

[68] وكأ أنه حمل الرمية على السهام المرمية. قوله عليه السلام " فإننا صنائع ربنا " هذا كلام مشتمل على أسرار عجيبة من غرائب شأ نهم التي تعجز عنها العقول ولنتكلم على ما يمكننا إظهاره والخوض فيه فنقول: صنعة الملك من يصطنعه ويرفع قدره ومنه قوله تعالى: * (واصطنعتك لنفسي) * أي اخترتك وأخذتك صنيعتي لتنصرف عن إرادتي ومحيتي فالمعنى أنه ليس لاحد من البشر علينا نعمة بل اﷻ تعالى أنعم علينا فليس بيننا وبينه واسطة والناس بأسرهم صنائعنا فنحن الوسائط بينهم وبين اﷻ سبحانه. ويحتمل أن يريد بالناس بعض الناس أي المختار من الناس نصطنعه ونرفع قدره. وقال ابن أبي الحديد: هذا مقام جليل طاهره ما سمعت وباطنه أنهم عبيد اﷻ والناس عبيدهم. وقال ابن ميثم: لفظ الصنائع في الموضعين مجاز من قبيل إطلاق اسم المقبول على القابل والحال على المحل يقال: فلان صنعة فلان إذا اختصه لموضع نعمته، والنعمة الجزيلة التي اختصهم اﷻ بها هي نعمة الرسالة وما يستلزمه من الشرف والفضل حتى كأن الناس عيالاتهم فيها. قوله عليه السلام: " وعادي طولنا " قال الجوهري: " عاد " قبيلة وهم قوم هود عليه السلام وشئ عادي أي قديم كأ أنه منسوب إلى عاد. وقال ابن أبي الحديد: الطول: الفضل. وقال: الأفعال الجميلة كما تكون عادية بطول المدة تكون عادية بكثرة المناقب والمآثر والمفاخر وإن كانت المدة قصيرة ولا يراد بالقديم قديم الزمان بل من قولهم لفلان قديم أثر أي سابقة حسنة. وإنما جعلنا اللفظ مجازا لان بني هاشم وبني أمية لم يفترقا في الشرف إلا منذ نشأ هاشم بن عبد مناف ثم لم تكن المدة بين نشأ هاشم وإظهار محمد صلى اﷻ عليه وآله الدعوة إلا نحو تسعين سنة انتهى.